نقل نبوته بنا على انه انما نبي بعد هبوطه من الجنة الى الارض على ما يرشد اليه قوله تعالى ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وذلك لا يدل على افضليته عليه بعدها كما هو المتنازع فيه
والله اعلم ومنها قوله تعالى علمه شديد القوى يعني جبريل عليه الصلاة والسلام دلت
هذه الاية على ان جبريل معلم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعلم له ولا شك ان المعلم افضل
من المتعلم والرسول افضل من المرسل اليه كما ان النبي افضل من الامة المتعلمين منه والمرسل
هو اليهم والجواب ان المتعلم ليس الا من الله تعالى والذي من جبريل انما هو تبليغ
ذلك التعليم ولو سلم فالمعلم انما يكون افضل من المتعلم فيما يعلمه وفيه جهله به لا في غيره ولا
فيما يعلمه ويكون جهله ذاتيا بل فيما نقله والقياس على النبي بالنسبة الى امته ليس بصواب
لظهور الفرق فان السلطان اذا ارسل شخصا الى جمع كثير ليكون حاكما عليهم يكون ذلك
الشخص افضل من ذلك الجمع اما اذا ارسل واحدا الى ذلك الشخص الحاكم ليبلغ رسالته
فلا يلزم ان يكون ذلك الواحد افضل من ذلك الشخص الحاكم كما لا يخفى ومنها قوله
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اي لا يترفع عيسى
عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كقولك لا يستنكف من هذا الامر الوزير
ولا السلطان ولو قلت السلطان ولا الوزير خرجت عن صنعة البيان بشهادة
النقل باساليب الكلام فان القياس في مثل هذا الترقي من الادنى الى الاعلى وعليه
جاء قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى اي مع انهم اقرب مودة
لاهل الاسلام ولهذا خص الملائكة في الاية بالمقربين منهم لكونهم افضل واذا ثبت فضل
الملائكة على عيسى ثبت فضلهم على غيره اذ لا قائل بالفرق البتة والجواب ان الكلام سيق
لرد مقالة النصارى وغلوهم في المسيح عيسى بن مريم وادعائهم فيه مع النبوة البنوة
بل الالوهية والترفع عن العبودية لكونه روح الله حيث شاهدوه ولد بلا اب وانه
يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى والمعنى لا يترفع عيسى عن العبودية لله تعالى
ولا من هو فوقه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله
تعالى على افعال اقوى واعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى فالترقي والعلو
انما هو في التجرد عن الاب والام واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال بل
ولا فيه بمعنى كثرة الاجر والثواب فان قلت وصف الملائكة في الاية بالمقربين ربما يلوح
الى ان الافضلية في الشرف والكمال لا بمعنى التجرد والقوة على تلك الافعال قلت توصيفهم
بالمقربين لكونهم اقدر نوعهم على ابداع تلك الافعال في العالم والتصرف في احوال بني ادم فيه
حتى ان نسخة الارزاق تسلم الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف
الى جبريل ونسخة المصائب الى ملك الموت ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب
سماء الدنيا وهو ملك عظيم تحته سبعون الف ملك كل واحد منهم تحته سبعون الف ملك
والله اعلم ومنها انه قد اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكر الملائكة على ذكر الانبياء
والرسل

والرسل ولا يعقل له جهة سوى الافضلية والجواب انه يجوز ان يكون ذلك التقديم
لجهة تقدمهم في الوجود او في قوة الايمان بهم والاهتمام به لانهم باعتبار الوجود اخفى
فالايمان بهم اقوى وبالتحريض عليه احرى فالتقديم لهم اولى واما العقليات فمنها ان
الملائكة روحانيات مجردة في ذواتها متعلقة بالهياكل العلوية مبرأة عن ظلمة المادة
وعن الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الشرور والقبائح متصفة بالكمالات العلمية
والعملية بالفعل من غير شوائب الجهل والنقص والخروج من القوة الى الفعل على سبيل
التدريج ومن احتمال الغلط قوية على الافعال العجيبة واحداث السحب والزلازل وامثال
ذلك مطلعة على اسرار الغيب ماضيها وآتيها سابقة الى انواع الخير ولا كذلك حال البشر
والجواب ان مبنى ذلك على قواعد الفلسفة دون الملة ومنها ان اعمالهم المستوجبة للمثوبات
اكثر لطول زمانهم ودوامهم لعدم تخلل الشواغل واقوم لسلامتها عن مخالطة المعاصي وعلومهم
اكمل واكثر لكونهم نورانيين روحانيين يشاهدون اللوح المحفوظ المنتقش بصور
الكائنات والاسرار الغيبيات والجواب ان هذا لا يمنع كون اعمال الانبياء وعلومهم افضل
وانهم اكثر ثوابا لجهات اخر كقهر المضاد والمنافي وتحمل المتاعب والمشاق في
نحو ذلك على ما سبق ونحوها مباحث لابد من الوقوف عليها تتميما للفائدة الاول ما مر من
تفضيل الانبياء على الملائكة هو مذهب جمهور اهل السنة وخالف في ذلك جماعة منهم القاضي
والحليمي والاستاذ والحاكم والرازي وابو شامه فقالوا ان الملائكة افضل منهم وذهب جماعة
الى الوقف عن القول بتفضيل احد الفريقين على الاخر وجماعة الى السكوت عن القول
بذلك مع اعتقاد ما ادى اليه الدليل وسيأتي القول الخامس المفصل في كلام الناظم الثاني
قال الامام فخر الدين ان الخلاف انما هو في الافضل بمعنى الاكثر ثوابا على الطاعات قال القاضي
ذكرت فضل انما يفضل باعتبار كثرة الثواب والعمل وانه انقى من الذنوب الامر ورد بعض
المتأخرين عليه الاخرين وعينه في الاول سجود الملائكة لادم قبل عمله شيئا وقبل نحوه
البنية وفي كلام شيخ المقاصد التصريح بانه في اكثرية الثواب وسائر الكمالات لكن في كلام
ابن المنير ما قد يأباه فانه قال مذهب اهل السنة ان الرسل افضل من الملائكة باعتبار
الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجردها افضل من الملائكة
لكان كل بشر افضل من الملائكة معاذ الله قلت والحق انه لا يأباه كما يدرك بالتامل
نعم قال عز الدين بن عبد السلام ان كان تفاضلهما بتفاضل جهة تفاوت الاجساد
التي هي مساكن الارواح فلا شك ان اجساد الملائكة افضل فان اجسادهم من نور واجساد
البشر من لحم ودم وان تفاضل بين ارواح البشر وارواح الملائكة مع قطع النظر عن الاجساد
فارواح الانبياء افضل كما يعلم ما في ... تعالى وهو لا يخفاهم نظر الثالث ظاهر
كلام الخصوم ويقتضي اطلاقهم ان الخلاف جار في التفضيل بين الانبياء ومطلق الملائكة والذي
ذهب اليه القاضي وجماعة منهم الامام فخر الدين في الاربعين تخصيصه بالعلوية منهم